علم الأصوات العربية؛
تطوراتها ونظريتها والإستفادة منها لتعليم اللغة العربية

Naifah Hasan
naifahhasan@gmail.com
Universitas Islam Negeri Walisongo Semarang

المستخلص

علم الأصوات لم يعرف باسم الفنولوجيا عند العرب إلا في مرحلة لاحقة لكن فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية. أولَ من أفرد المباحثَ الصوتية بمؤلَّف مستقل ابنُ جنّي (392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية. وقد اعتنى القدامى بهذا العلم لأن مداره الكلام، أو اللغة المنطوقة من جهة الكشف عن أصوات اللغة، ونظامها، وإنتاجها، وإدراكها، وصفاتها، وخصائصها الإفرادية، والسياقية ووظائفها، وتنوع صورها الأدائية. ونظرا لهذه الأهمية فهذا المقال تناول من خلاله نشأة هذا العلم فروعه والنظام الصوتي في اللغة العربية ثم العلاقة بين علم الأصوات وعلم اللغة والاستفادة من دراسة علم الأصوات لغير الناطقين بها.

الكلمات الأساسية: علم الأصوات، تعليم اللغة العربية.

أ. المقدمة

يعتبر علم الأصوات *(Phonetics)* علما جديدا قديما: جديد لأنه واحد من فروع علم اللسانيات (*Linguistics*) الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القرن على يد اللغوي السويسري فردينان دوسوسّور. (محمد حسان الطيان 2008 :1) وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتّى، أو هي على حد تعبير ابن جني: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. (أبو الفتح عثمان بن جني: 33) والصوت كما قال الجاحظ: هو آلة اللفظ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت. ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف. (الجاحظ 1985: 79)

فالفوناتيك (Phonetics) هو علم أصوات الكلام والفنولوجيا (Phonology) علم أصوات اللغة (لغة بعينها)، والأول أقرب إلى علوم الطبيعة منه إلى علم اللغة، إنه عندهم ليس فرعاً من علم اللغة، إنه شيء ثانوي، ليس هدفاً في ذاته، وإن كان وسيلة من وسائل دراسة الأصوات على

مستوى الفنولوجيا. ولكن هذا الأخير جزء لا يتجزأ من علم اللغة .الفوناتيك إذن – عند هذه المدرسة) يقصد مدرسة براج – (وظيفته دراسة الأصوات المنطوقة بالفعل في الكلام فينظر في حركات أعضاء النطق وأوضاعها، كما يلاحظ الذبذبات الهوائية الناتجة مباشرة عن هذه الحركات والأوضاع .أما الفنولوجيا فلا يهتم بالأصوات بهذا الوصف، وإنما عله أن يدرس الفونيمات. وهي العناصر المكونة للمعنى اللغوي. وهي عناصر غير مادية، إنها عناصر عقلية. ويكون تحقيقها المادي بوساطة الصوت الفعلي أو النطق. (كمال بشر 2000: 76)

و قبل البدء بتتبع الأطوار التأريخية لعلم الأصوات يحسن بنا التعريف بهذا العلم لإعطاء الصورة الواضحة عن مادته واتجاهاته، ومستوياته. وأما علم الأصوات هو: العلم الذي يدرس الأصوات اللغويه من ناحية وصف مخارجها وكيفية حدوثها وصفاتها المختلفة التي يتميز بها صوت عن صوت، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثرها بعضها ببعض عند تركيبها في الكلملت أو الجمل. وعلم الأصوات عند د. أحمد سيوطي هوالعلم الذي يدرس القاء الصوت، انتقاله واستقباله. وعند د. جميل علّوش والمستوى الصوتي يدرس الحروف من حيث هي أصوات فيبحث عن مخارجها وصفاتها وقوانين تبدلها وتطورها بالنسبة إلى كل لغة من اللغات وفي مجموع اللغات القديمة والحديثة. (عبد الوهاب رشيدي 2010: 1)

و كل المعاني التي تناول هذا العلم متفقة في الجملة، فهو العلم الذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة الدرس اللغوي. فموضوع علم الأصوات هو الكلام، أو اللغة المنطوقة من جهة الكشف عن أصوات اللغة، ونظامها، وإنتاجها، وإدراكها، وصفاتها، وخصائصها الإفرادية، والسياقية ووظائفها، وتنوع صورها الأدائية. وهذا العلم أخذ حظاً لا بأس به من البحث في العصور المتقدمة، كما تجده عند الهنود والرومان والعرب، واختلفت جهودهم من حيث الكم والكيف، إلا أنها في جميع الأحوال لم تكن بقدر السعة التي تناولوا فيها باقي المستويات اللغوية الأخرى.

ب. نشأة علم الأصوات وتطويره

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية –نحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد...– ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلَها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارةٍ منه’. قال أبو نصر الفارابي: وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها’، ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت منها وغير المصوت وعما يتركب منها في اللسان وعمّا لا يتركّب. ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحوٍ ما في علم

الأصوات'، في زمرٍ ثلاث': 1 ـ علوم العربية': النحو والصرف والبلاغة والعروض'... 2 ـ علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى'. 3 ـ علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط'. (محمد حسان الطيان: 4)

أما الزمرة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية'، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) والذي بُني على أساس صوتي'، وصدِّر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب. ولا غروَ فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها'، وصاحب العروض، ذو الباع الطويل بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات'، بل إن حمزة الأصفهاني ينسب إليه كتاباً مستقلاً في الأصوات اسمه "تراكيب الأصوات". وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها: وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو': أَبْ'، أَتْ'، أَحْ'، أَعْ'، أَغْ'، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق'، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم.

على أنّ أولَ من أفرد المباحثَ الصوتية بمؤلَّف مستقل، ونظر إليها على أنها عِلم قائم بذاته ابنُ جنّي (392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية: مخارجها، وصفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدّي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، والفرق بين الحرف والحركة، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة، ومزج الحروف وتنافرها. إلى غير ذلك من مباحث بوّأَتْهُ المقامَ الأول في هذا الفن.

وأما الزمرة الثانية – زمرة الفلاسفة والأطباء والحكماء – فيقدُمُها فيلسوفُ العرب أبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ) الذي جعل القرّاء خمسة وعشرين قارئاً، أما أول كتاب وصلنا في هذه الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (324هـ) شيخ الصنعة وأول من سبّع السبعة، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى، تقفو أثره، وتنهل من منهله على اختلاف عدد القرّاء في كلٍّ منها. مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات (*phonologi*) كعبد اللطيف البغدادي (629هـ) وهو واحد من فلاسفة الإسلام المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطبّ... ومن رسائله المتصلة بموضوعنا: "مقالتان في الحواس" و"النفس والصوت والكلام" و"اللغات وكيفية تولدها". رسالة أخرى ذات مساسٍ بالصوتيات بل بتطبيقٍ دقيق من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق *Troubles de la parole*، وهي رسالة اللثغة، وقد قدّم لها ببيانٍ وافٍ لآلية النطق، وعلاقتها بالحروف، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء، ووصف مخارج

حروف العربية وهيئاتِ النطق بها وصفاً تشريحيًّا فيزيائياً على نحوٍ يختلف عمّا عهدناه عند سيبويه وخالفيه، ثم حدّد حروف اللثغة، وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها.الكندي (260هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات.

والفارابي (339هـ) المعلم الثاني واحدٌ ممن عُني بهذه الدراسات: من ذلك كلامه على حدوث الصوت والنغم، وربطه بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكلام، وعنايته بدرجة الصوت (حدّته وثقله) وإشارته إلى وجوب استعمال الآلات للقيام ببعض القياسات التي يصعب تحديدها بالسمع. وجاء ابن سينا (428هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذّة (أسباب حدوث الحروف)، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين، وهو يتصل بما يسمى علم الأصوات النطقي *phonetique articulatoir*.

وأما الزمرة الثالثة – زمرة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط – فقد وُسِمَتْ مصنفاتها بأنها أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية؛ وذلك لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتب سيبويه خاصة، يقول برغشتراسر: "كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم".

أما فنُّ التجويد فأول من صنّف فيه – على ما يبدو – موسى بن عبيد الله ابن خاقان (325هـ) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم، وقد شرحها الإمام الداني (444هـ) صاحب التصانيف العديدة في القراءات والتجويد، ولعل من أهمها في هذا الباب رسالته "التحديد في الإتقان والتجويد". التي ضمَّنها باباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها، ثم أتى على ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم، وأفرد باباً لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمّل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها. (محمد حسان الطيان: 4-6)

لقد وجد في مصنفات علماء القراءة والتجويد الكثير من الإسهامات في مجال علم الأصوات والتي ساعدت على تطور هذا العلم، وذلك من اجل الدقّة في تأدية كلمات القران الكريم قراءة وتدوينا، إلى حد جعل بعض الباحثين يذهبون الى أن هذه العلوم قد انفردت بالدرس الصوتي وأغنته. وذلك لأن علم الأصوات قد استفاد من علم النحو عامة ومن علم القراءة خاصة. ويعد هذا الجانب التطبيقي والوظيفي من علم التجويد بعد مرور الزمان من دراسات صوتية.

ج. فروع علم الأصوات

بالنظر إلى الأصوات من حيث كونها مادة منطوقة مرسلة من متكلم إلى سامع يقتضى تفريع علم الأصوات إلى ثلاثة فروع هى :

1) علم الأصوات الفسيولوجى (الوظائفى أو النطقى) *Physiological / Articulatory Phonetics*
2) علم الأصوات الفيزياء (أو الأكوستيكى) (*Acoustic Phonetics*).
3) علم الأصوات السمعى والإدراكى (*Auditory and Perceptual phonetics*. (كمال بشر: 8)

علم الأصوات النطقي هو العلم الذى يدرس حركات أعضاء النطق من أجل إنتاج الأصوات اللغوية أو هو الذى يعالج عملية إنتاج الأصوات الكلامية وطريقة هذا الإنتاج وتصنيف الأصوات اللغوية وفق معايير ثابتة. وهو أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قديما. وعلم الأصوات الفيزياء أو الأكوستي يختص بجانبين: الأول، دراسة الموجات والزبزبات الصوتية التي أحدثها المتكلم. والثاني، دراسة الوسيط الذي انتقل عبرة الكلام إلى أذن السامع. وأما علم الأصوات السمعى يختص بدراسة الاستماع إلى الموجات الصوتية واستلامها فى الأذن وما يحيط بها من أجهزة السمع. وهذه الدراسات ذات جانبين هما: جانب عضوى ويتركز فى دراسة فيسيولوجية، الأذن وما يرتبط بها من أجهزة السمع. جانب نفسي ويتركز فى دراسة سيكولوجية الاستماع من حيث العمليات العقلية التي تجري فى ذهنه لتفسير الكلام. (عبد الوهاب رشيدي: 4)

فهذه الدراسات تسعى فى النهاية إلى هدف واحد وهو دراسة الأصوات البشرية ولكن كل منهم يهتم بدراسة جانب من جوانب الصوت البشرى على حدة. فالعلم الأول على يهتم بدراسة الجانب النطقي للصوت (كيف يُنطَق الصوت) وهى المرحلة الاولى التى يبدأ منها الصوت رحلته الى الخارج والثانى يدرس الجانب الفيزيائى للأصوات وكيفية إنتقاله فى الهواء وهذه هى المرحلة الثانيه فى العملية الصوتية أما الثالث فنجده يدرس المرحلة الاخيرة وهى عند وصول الصوت للأذن ثم الى المخ لتتم بذلك عمليتى السمع والإدراك.

وأصوات اللغة لها جانبان هما: جانب مادي، وهو يكتفي بدراسة المادة الصوتية من حيث كونها أحداثا منطوقة. وجانب وظيفي، وهو يبين وظائف هذه الأصوات وقيمها في اللغة المعينة. ونظر بعض علماء الصوت إلى الأصوات من حيث العموم والخصوص: علم الأصوات العام وعلم الأصوات الخاص. يعنى الأول بالنظر في الأصوات اللغوية من حيث طبائعها العامة، بوصفها خاصة لغوية للإنسان بقطع النظر عن اللغة المعينة، ويهتم الثاني بدراسة الأصوات في لغة معينة، كاللغة العربية فقط أو الإنجليزية فقط. ويوجد تصنيف رابع لهذ العلم من حيث المنهج وطرائق

التخليل وأغراض الدراسة، فكان علم الأصوات الوصفى، علم الأصوات التاريخي، وعلم الأصوات المقارن. (كمال بشر: 9)

د. جهاز النطق وأعضاءه

جهازالنطق (*Speech apparatus*) مصطلح يشير إلى الأجهزة البشرية (من الأعضاء في الجسم الإنساني) التي تساهم في عملية تكوين الأصوات الكلامية. وجهازالنطق يتكون من أعضاء النطق (*Speech organs*) وهي أعضاء التي تشترك بشكل مباشر في عملية إصدار الأصوات الكلامية.(عبد الوهاب رشيدي: 16) جهاز النطق وأعضائه هي : الشفاه أو الشفتان (*lips*) والتجويف الأنفي (*nasal cavity*) والأسنان (*teeth*) والحنك التي تتكون من سقف الحنك (*the roof of the mouth*) والحنك اللين (*soft palate*) والحنك الصلب (*hard palate*) ومقدم الحنك واللثة (*alveoli*) اللهاة (*uvula*) واللسان التي تتكون من أقصى اللسان (*back of the tongue*)، ووسط اللسان (*front of the tongue*)، وطرف اللسان (*blade of the tongue*) والحلق (*pharynx*) ولسان المزمار(*epiglottis*) والوتران الصوتيان (vocal cords) والحنجرة (*larinx*) والبلعوم والقصبة الهوائيه (*wind-pipe*) والرئتان (*langs*) والحجاب الحاجز (*diaphragm*). (عبد الوهاب رشيدي: 17)

هـ. النظام الصوتي في اللغة العربية

النظام الصوتي في اللغة العربية —كأي نظام صوتي أخر– يشتمل على:

1. فو نيمات قطعية (*segmental phonemes*) وهي عبارة عن الأصوات الصّامتة (*consonants*) والأصوات الصّائتة (*vowels*)

للغة العربية أربعة وثلاثون فونيمًا قطْعيًا واثنا عشر فونيمًا فوق القطعيّ، وفيما يلي سرد للفونيمات القطعِيّة :

/ت/ /ط/ /ك/ /ق/ /ء/ /ب/ /د/ /ض/ /ج/ /ف/ /ث/ /س/ /ص/ /ش/
/خ/ /ح/ /هـ/ /ذ/ /ز/ /ظ/ /غ/ /ع/ /م/ /ن/ /ل/ /ر/ /و/ /ي/ /الكسرة
/ ِ/ الفتحة / َ/ الضمة / ُ/ الكسرة الطويلة /ي/ الفتحة الطويلة / ا /
الضمة الطويلة /.و ./

2. فو نيمات فوق قطعية (*supra segmental phonemes*)وهي عبارة عن ظواهر مصاحبة للنطق كالنبر (*stress*) والتنغيم (*intonation*) والوقفة (*juncture*) وطبقة الصّوت (*pitch*)

والطول (*length*) واللحن (*tone*) وغير ذلك من مو سيقى الكلام. (سعيد عبد الله الغريبي 1987: 31)

وها هي هنا الفو نيمات فوق القطعية وهي النبر والتنغيم والطول والوقفة.

1. **النبر** هو ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها. لاحظ مثلا الفرق بين قوة النطق وظعفه بين المقطع الأول في (ضرب) وبين المقطعين الأخرين ض /ر/ب نجد أن (ض) ينطق بارتكاز أكبر من زميله من كلمة نفسها. وهذا الشيء يلاحظ في المقطع /كا/ من (كا/تب)
2. **التنغيم** يطلق على ارتفاع الصوت وانخفاضه وتلونه بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة، وكذالك للدلالة على معان مقصودة، مثل الاستفهام والطلب والأمر والغضب والرضا والفرح والدهشة والتعجب واللهفة ووالشوق.
3. **الطول** يعني طول الأصوات وطول المقاطع وطول الأحداث الكلامية قابل للتنوع، وقد تستعمل هذه التنوعات لاغراض لغوية للتفريق بين الكلمات والأحداث اللغوية.
4. **الوقفة** عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي يقصد الدلالة على مكان إنتهاء لفظ ما أو مقطع وبداية اخر. (سعيد عبد الله الغريبي: 60)

وهناك بعض المفاهيم المرتبطة بعلم الصوتيات، منها الأبجدية الصوتية العالمية (*I PA*) *International Phonetic Alphabet*. هو نظام عالمى للأصوات الكلامية وهى مجموعه من الرموز وُضِعَت لكى تعبر عما ننطقه من أصوات بعض الرموز الصوتية المختلفة وهذه الأبجدية تمثل كل الأصوات البشر ية الموجودة فى جميع لغات العالم ويُعَد السبب الرئيسى لوجود هذا النظام ما نجده من فجوة بين ما ننطقه من أصوات وبين شكلها الكتابى فمثلاً عند نطق كلمة "جنب "وكلمة" منى "فسوف تلاحظ وجود إختلاف صوتى بين نطق صوت النون فى الكلمتين "سواء كان شعورك بهذا الإختلاف مصدره إحساسك النطقى أو إحساسك السمعى " فالنون فى كلمة" منى "هى النون الصحيحة التى تخرج من مخرجها الصحيح ولكن النون فى كلمة "جنب " نجدها ملتبسة بمخرج صوت الميم وليست خارجة من مخرج النون الصحيح إذا يمكن إستخدام هذا النظام العالمى للتعبير عن هذه الإختلافات الصوتية برموز صوتية مختلفة والتى لايمكن التعبير عنها بالشكل الكتابى المعتاد لها " وهذا المثال السابق يوضح الفرق بين مفهومين هامين فى مجال الدراسات الصوتية. (منصور بن محمد الغامد الغامدي 1424: 3)

و. العلاقة بين علم الأصوات وعلم اللغة

هناك أربعة اتجاهات رئيسية تتعلق بموضوع العلاقة بين علم الأصوات وعلم اللغة:

أولًا: الفونيتيك فرع مستقل من علم اللغة، وليس جزءًا منه، وإن كان بينهما ارتباط واتصال، يتمثل في حاجة علم اللغة للفونيتيك، ويأخذ بهذا الاتجاه فريقان من الدارسين: فريق يمثله القائلون بالتفريق بين الكلام المنطوق واللغة.أما الفريق الثاني، وهم المهتمين بالفونيتيك، وبتعميق الدراسة فيه وفي فروعه

ثانيًا: بالرغم من أن "دي سوسير" هو صاحب فكرة التفريق بين الكلام واللغة، فإنه في هذه النقطة نحى منحًا آخر، فالفونيتيك عنده جزءٌ لا يتجزأ من علم اللغة، على حين يرى أن الفنولوجيا نظام من البحث ثانوي بالنسبة لهذا العلم، وهو في الوقت نفسه خاص بالكلام، وليس خاصًا باللغة.

ثالثًا: الفونيتيك فرع من فروع علم اللغة، ولكنه فرع جانبي أو هامشي، أما الفنولوجيا فهو فرع أساسي أو مركزي من هذا العلم، ومن أنصار هذا الرأي "هوكيت"الأمريكي وعدد من تلاميذ "فيرث "الإنجليزي.

رابعًا: الفونيتيك والفنولوجيا ونظيره علم الفونيمات كلاهما جزء لا يتجزأ من علم اللغة، وهذا ما ذهب إليه "فيرث" وكثيرون من تلامذته، وكثير من رواد المدرسة الأمريكية، ويمكن أن نعد "بلونفيلد" واحدًا من أنصار هذا الرأي، بل إنه يرى أن العلاقة بين علم الأصوات بفرعيه، وبين علم اللغة أقوى بكثير مما قرره هؤلاء.

والدراسات الصوتية عند العرب تميل إلى ركود البحث في الأصوات على مستوى شامل واسع منذ أيام الرعيل الأول من علماء العربية حتى اليوم، ذلك أن الجهود الجبارة التي بذلها هؤلاء العلماء الأوائل في دراسة الأصوات لم تجذب إليها إلا نفرًا قليلًا من الدارسين، وبخاصة أولئك الذين كانوا يشتغلون بالقراءات القرآنية، وهم الذين حملوا عبء هذه الدراسات وتولوا رعايتها من بعد، وتابعوا البحث فيها، وإن كان ذلك بطريقة خاصة ومنهج معين.

وهكذا انتقلت البحوث الصوتية من الميدان اللغوي الدقيق، إلى ميدان البحث في مناهج الأداء القرآني، وظلت تتابع سيرها عبر الزمان في هذا الميدان حتى يومنا هذا، ولم ينتفع بها إلا عدد قليل من الباحثين في علوم اللغة كبعض علماء البلاغة، وبعض النابهين من علماء الصرف والنحو المتأخرين. كل هذا كان بسبب الوهم الفاسد بأن الدراسات الصوتية إنما هي من اختصاص علماء القراءات والتجويد، وأنها بمثابة علم خاص بالأداء القرآني، وأنه لا ضير إذن على علماء اللغة إذا لم يتعرضوا لها، ولم يعيروها التفاتًا، وقد أدى هذا بدوره إلى هجر الدارسين المتأخرين لهذا العلم.

ز. أهمية علم الأصوات

أهمية علم الأصوات في المجال التطبيقي تظهر في تعليم اللغة القومية. فالدراسات الصوتية وسيلة من وسائل تعلم اللغة القومية تعلمًا سليمًا، وسبيل من سبل رقيها والمحافظة عليها، فالمتعلمون وبخاصة في المراحل الأولى معرضون للخطأ في نطق هذه اللغة، والانحراف عن الطريقة الصحيحة في أدائها، ذلك لأن هؤلاء المتعلمين يأتون من مناطق مختلفة وينتمون إلى بيئات اجتماعية غير متجانسة، ولكل واحد من هؤلاء عاداته النطقية التي يؤدي بها لهجته المحلية أو لهجته الخاصة. وهذه العادات لا بد أن يظهر أثرها بصورة أو بأخرى في نطق اللغة القومية التي تسمى في الاصطلاح اللغوي باللغة المشتركة، ومن أمثلتها اللغة الفصحى في المجتمع العربي، فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى أصوات هذه اللغة، سهل عليهم إجادة نطقها، وحسن أدائها، واستطاعوا بالتدريج أن يتخلصوا من العادات النطقية المحلية.

أما عن تعلم اللغات الأجنبية فتظهر أهمية علم الأصوات بصورة عملية واضحة في تعلمها وتعليمها، فمن المعروف أن لكل بيئة لغوية عاداتها النطقية الخاصة بها، فإذا أقدم أصحاب لغة ما على تعلم لغة أخرى كانوا عرضة لأن يخطئوا في أصوات هذه اللغة الأخيرة، وأن يخلطوا بين أصواتها وأصوات لغتهم بسبب تأثرهم بعاداتهم النطقية.

أما أهمية علم الأصوات في المجال النظري تتجلى فيما يلي. أن العربية بها صعوبات صوتية تقابل الأجانب عند تعلمهم لغتنا فهو أمر ثابت محقق؛ فأصوات الحلق وأقصى الحنك كلها أو جلها تمثل مشكلة صوتية أمام الأجانب، فالعين مثلًا ينطقها البعض كما لو كانت همزة أو هاء، والحاء تنطق خاء أحيانًا، يضاف إلى هذه الصعوبات في نطق الأصوات المفردة، صعوبات أخرى تتعلق بنطق الكلام المتصل، لِما له سمات وخواص صوتية معينة لا يقوى الأجنبي على معرفتها وإجادتها إلا بالتعلم والمران على يد خبير متخصص.

فدراسة الأصوات اللغوية لها أهمية كبرى في وضع الأبجديات الجديدة للغات التي لم تكتب بعد، وفي إصلاح تلك الأبجديات التي تقصر عن الوفاء بأغراضها. أما بالنسبة لوضع الأبجديات الجديدة فقد أصبح أمرًا ملحًا بالنسبة لكثير من اللغات في العالم بخاصة في الأقطار الإفريقية، وهناك في بعض هذه البلاد مشكلات ثقافية قومية تتعلق بهذا الموضوع، ففريق يرى وجوب مراعاة الأصل القومي للغة عند وضع أبجديتها، وثمة فريق آخر من رأيه اتخاذ الأبجدية اللاتينية أساسًا للأبجديات الجديدة بحجة أن باللاتينية من الرموز ما يفي بحاجات هذه اللغات، وبدعوى أن الرموز اللاتينية موجودة بالفعل، فالالتجاء إليها أسهل وأيسر من محاولة ابتكار أبجديات جديدة، وهذا الرأي الثاني ينطوي على خطر كبير؛ إذ هو يربط هذه اللغات القومية بلغات أجنبية من ناحية الشكل على الأقل، ولربما يجر هذا الوضع إلى ربط ثقافات هؤلاء القوم

بثقافات أجنبية لا تبغي إلا السيادة والسيطرة على ثقافات المواطنين الإفريقيين، والأبجدية ليست في واقع الأمر مسألة شكلية بالمعنى المعروف، فهي وإن كانت صورة خارجية إلا أنها مأخوذة ومستمدة من صميم اللغة ومرتبطة بخواصها اللغوية أشد ارتباط، وهي تصوير كتابي لمادتها الأصلية وهي الأصوات.

ح. العلاقة بين أهمية علم الأصوات وعلم الصرف والنحو

لا تتم دراسة جادة لعلم المعنى الوصفي لأي لغة منطوقة، ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية وأنماط تنغيمية موثوق بها. ففي الصرف مثلا تلعب الظواهر الصوتية دورًا بارزًا في تحديد الوحدات الصرفية وبيان قيمتها، وليست ضرورة اعتماد علم الصرف على علم الأصوات مقصورة على لغة دون أخرى، إن لغات الأرض جميعًا تستوي في هذا الأمر، وإنما يكون الاختلاف بينها في نوع استغلال الحقائق الصوتية في المجال الصرفي، وفي مدى هذا الاستغلال ونتائجه.

فالنبر مثلًا على مستوى الكلمة المفردة يقتصر دوره في اللغة العربية على تمييز الأنماط والأوزان الصرفية، فالفعل الماضي الثلاثي المجرد دائمًا منبور مقطعه الأول، ولكن موقع هذا النبر يختلف بمجرد اتصال هذا الفعل بلاحقة صرفية كما في "ضرب" بنبر المقطع الأول، ولكن "ضربتُ" أو "ضربتْ" يقع النبر على المقطع الثاني.

لقد درج علماء الصرف المتقدمين على أن يقولوا مثلًا أن: "قل" أصلها "قُولْ" أو "قَوْلْ " التقى ساكنان الواو واللام فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت "قل"، وحقيقة الأمر أن "قل" جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر، ولم يكن من المستطاع أن تأتي بالصورة الثانية في النطق الفعلي؛ لسبب صوتي ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعي في العربية الفصحى، لقد ثبت بالدراسة أن تركيب المقطعي صامت زائد حركة طويلة زائد صامت تركيب ممتنع في هذه اللغة إلا في حالتين اثنتين وهما: في حالة الوقف، وأن تكون الحركة الطويلة متلوة بمثلين مدغمين من أصل الكلمة نحو: شابّة ودابّة. أما ما ذهب إليه هؤلاء الصرفيون فهو عمل افتراضي لا يؤخذ به في الدرس اللغوي الحديث.

وألف الوصل (مثل ألف القراءة) في العربية ظاهرة صوتية صرفية، وليس من الحكمة دراستها من زاوية دون أخرى؛ إذ ترتبط الجهتان بعضهما ببعض أوثق ارتباط، فهي من الناحية الصوتية ليست أكثر من تحريك خفيف، أو صُويت لجأ إليه المتكلم العربي في بداية الكلمة حيث تمنع طبيعة التركيب المقطعي لهذه اللغة البدء بصوت صامت غير متلوٍ بحركة، ولكن هذه

الظاهرة الصوتية مرتبطة بصيغ صرفية لا تتعداها ولا تتجاوز حدودها، وهذه الصيغ الصرفية ذاتها أصبحت تمتاز من غيرها بهذه الخاصة الصوتية التي أصبحت جزءًا من تركيبها الصوتي.

والتنوين كذلك ظاهرة مهمة تستأهل النظر الصوتي العميق قبل أن تعالج من وجهة النظر الصرفية. تلك الوجهة التي عرض لها العرب دون التفات مناسب إلى خواصها الصوتية في النحو وهو قمة البحث اللغوي، وهو الهدف الأساسي الذي يسعى اللغويون إلى تحقيقه عند النظر في اللغة المعينة.

وأما العلاقة بين علم الأصوات والنحو:

الأمر الأول: التفريق بين أنماط الجمل. يفرق عادة بين الجمل الإثباتية والجملة الاستفهامية باحتواء الثانية على أداة استفهام، أو تغيير طفيف في نظمها على حين أن أهم أساس التفريق هو التنغيم أو التلوين الموسيقي الذي يعد جزءًا لا يتجزأ من النطق نفسه، وتستطيع الأذن الخبيرة إدراكه وتذوقه، وهناك العديد من الأمثلة تحتوي على أداة الاستفهام، وهي في الوقت نفسه ليست باستفهام من ذلك مثلًا قوله تعالى{ :هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا } (الإنسان: 1) فقد قرر المفسرون أن هَلْ هنا معناه "قد" وفسرها بعضهم بأن هل للاستفهام التقريري –أي: الجملة هنا تقريرية –وليست استفهامية، ومعناها بعبارة البلاغيين أن هَلْ خرجت عن أصل معناها الاستفهام، وفيصل الأمر في ذلك إنما هو التنغيم والموسيقى، وهناك على العكس من ذلك أمثلة أخرى تخلو تمامًا من أدوات الاستفهام وهي في حقيقة الأمر جمل استفهامية، يستفاد هذا المعنى من الموسيقى التي صاحبت نطقها، من ذلك ما رآه بعض المفسرين في قوله تعالى} :يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ {)التحريم: من الآية: 1) حيث قرر هؤلاء بأن جملة :تَبْتَغِي جملة استفهامية، وتقدير الكلام "أتبتغي" بحذف الهمزة، والحكم بأنها استفهامية إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى تنغيم النطق بصورة توائم الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية.

الأمر الثاني: تحديد أنماط الجمل والعبارات. مثل: "محمد الصغير" فهذه العبارة دون مراعاة النطق وخواصها الصوتية يمكن تحليلها نحويًا على وجهين، فقد تكون مبتدأ وخبر عندما أقول: "محمد الصغير" وقد تكون مبتدأ وصفة عندما أقول: "محمد الصغير" فإذا ما أخذنا النواحي الصوتية في الاعتبار أمكننا تفريع هذه العبارة إلى نموذجين مختلفين نظمًا وإعرابًا اسم معرفة زائد إمكانية السكت "محمد" سكتة زائد صفة معرفة نغمها "الصغير" اسم معرفة زائد استحالة السكتة صفة معرفة نغمة صاعدة "محمد الصغير" فعلى الأول تكون العبارة "محمد

الصغير" جملة من مبتدأ وخبر، وبها تم الكلام، وعلى الثاني تكون العبارة مبتدأ وصفة فقط، إذا قلت مثلًا: "محمد الصغير حضر".

الأمر الثالث: توجيه الإعراب. يعمد النحاة من وقت إلى آخر إلى إعراب المثال الواحد بوجوه مختلفة مهملين في أغلب الأحايين ربط هذه الوجوه بظروف الكلام وملابساته ومكتفين بالاعتماد على ما تجوزه قواعد اللغة من احتمالات افتراضية أو عقلية.

ط. الاستفادة من دراسة علم الأصوات لغير الناطقين بها

الاستفادة من دراسة علم الأصوات في التراث العربي اجمالا:

1. تعليم النبر الصحيح (إما في الكلمة أو الجملة) لأن هذا مما لا تساوي في الإندونيسية وهذا تقلل شأن النطق المحلي كالجاوي وغيره.
2. معرفة كيفية نطق الحرف الأخير حين الوقف كما أداه أي نطقه العرب.
3. ممارسة طول الصوت الصحيح (التزمين) من أثر المد لأجل التفاهم. وهذا مما لا يساوي في الإندونيسية. فالطول غير سديد يؤدي إلى إساءة الفهم
4. تسهيل تعليم التنغيم السديد (إما في الكلمة أو الجملة)

فمثلا كانت الصعوبة لغير الناطقين بالعربية تظهر في نطق مجموعة الصوامت المتعلقة بمنطقة الحلق في العربية. فكانوا يميلون إلى استبدالها بغيرها من الصوامت الأخرى التي تكون أقرب إلى لغتهم الأم، أو أسهل عليهم في الإنتاج .وفي غالب الأحيان يحدث الطالب هذه التبدلات دون وعي منه أنه أجرى هذا التبديل أثناء النطق، إذ يظن أنه ينطق الصامت الهدف أو يدركه على المستوى السمعي؛ ولكنه في حقيقة الأمر يبتعد عن دائرته إلى صامت آخر. وكثيرا ما يسأل الطلبة في قاعة الدرس أو في المختبر الصوتي عن هذه الصوامت على المستوى السمعي ليتأكد من إدراكه لما سمع، فكان يسأل مثلا في نحو كلمة" يطبع :"هل هذه طاء أو تاء ؟ وإذا كتب كلمة " عين " مثلا أو نطقها استبدل العين بالهمزة، وإذا نطق الحاء في نحو" أُحِب " حولها إلى" خاء "أو" هاء"، وغير ذلك من التبدلات الصامتية التي تشوش الرسالة اللغوية وتغير دلالتها. فبعض النقط من الصعوبات لغير الناطقين بالعربية:

1. كان هناك توازن نسبي بين المشكلة النطقية والمشكلة الإدراكية عند غالبية الطلبة، فالصعوبة ماثلة في الإنتاج والتمييز.
2. م يكن للسياق الصوتي كبير أثر في تقليل حجم المشكلة أو زيادتها، فإبدال الصوامت كان حادثا على مستوى المقطع والكلمة والجملة وبجوار جميع الحركات، وعليه، فإن

المشكلة لا تتعلق بالسياق قدر تعلقها بعدم إدراك المتعلم وتنبهه لخصائص الصامت الهدف.

3. تشابهت التبدلات الصامتية نسبيا لدي غالبية الطلبة من ذوي الجنسيات المختلفة، كتبديل الهاء بالحاء. (ابتسام حسين جميل، 2010)

ي. الخلاصة

1. من أبرز الأدلة التي تبين مكانة علم الأصوات في الدرس اللغوي، إسهامه في الحفاظ على اللغة القومية، ودعمها بالأدوات التي تمكنها من التطور والنجاح.

2. مكن علم الأصوات اللغويين من تدليل الصعوبات في نطق الحروف، وكذلك تطوير الأبجديات لمواكبة تطور أصوات اللغة.

3. استفاد اللغويون من علم الأصوات في تطوير علم الصرف، وعلم النحو، وذلك باعتماد الخصائص الصوتية في تقعيد القواعد على أسس منطقية سليمة.

المراجع

أنيس، ابرهيم. 1999. **الأصول اللغوية**. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية

بدري،كمال ابراهيم. **علم اللغة المبرمج الأصوات و النظام الصوتى مطبقا على اللغة العربية**. المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود.

جميل، ابتسام حسين. **الأصوات الصعبة في نطقها وادراكها لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها** مجلة الجامعة الإسلامية (الأردن: جامعة الإسراء) ج 18 ع 2 يونيو 2010

جوهر، نصر الدين إدريس. 2014. **علم الاصوات لدارسي اللغة العربية من الاندونيسيين**. سيدورجو: مكتبة لسان عربي

الحمد، غانم قدرى. 2004. **المدخل الى أصوات العربية**. عمان: دار عمار

الخولى، محمد علي. 1997. **أساليب تدريس اللغة العربية**. الاردن: دار الفلاح

طعيمة، رشدي أحمد. 1989. **تعليم العربية لغير الناطقين بها**. منشورات المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم والثقافة

عبد التواب، رمضان. **المدخل إلي علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**. القاهرة: مكتبة الخانجي

الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد. **العين**. بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات